على مكتب رئيس التحرير

للأســـتاذ دريني خشبة

كان ذلك في العشرة الأواخر من رمضان الماضي ...

وكانت الساعة الثانية تكاد تنتصف ... تلك الساعة التي يهمد فيها الجسم ، ويخمد الذهن ، وتفتر الأعصاب ، ويستعد فيها الموظفون في جميع دواوين الحكومة للانصراف

وكنت قد انتهزت فرصة وجود مجموعة من الأدباء المعروفين جاءوا لزيارتنا فأثرت موضوع الشعر المرسل Blank Verse ... وكان الحوار قد استحر برغم همود الأجسام وخمود الأذهان وفتور الأعصاب ، فهذا يرى أنه قد آن الأوان لإدخال هذا اللون من ألوان الشعر في القريض العربي ، وذاك يستنكره ويضيق به ، وهذا يعرف ما له من الخطر في آداب اللغات الأوربية ولا سيما في نظم الملحمة والدرامة والقصة ، إلا أنه لا يتصور كيف يمكن إقحامه على الشعر العربي الذي تتحكم فيه القافية هذا التحكم السخيف الذي اختص به من دون أشعار العالم

ثم دعيت إلى التليفون فجأة ، وإذا أخي محمد ... مدير إدارة الرسالة يدعوني إلى الدار لكتابة مقال لأحد البددين اللذين يطبعان قبل العيد دفعة واحدة ... فقلت له : ولماذا أحضر إلى الدار ولم أتعود الكتابة خارج منزلي ؟ فذكر لي : إن هذا هو ما أشار به الأستاذ رئيس التحرير . ثم أردف هذا بأنه ينبغي أن يُفرغ من طبع العدد كله مساء ذلك اليوم ، ولذلك (فيجب) أن يبدأ الطبع في تمام الساعة الرابعة ... أي بعد ساعتين ... والأستاذ في المنصورة (على فكرة !)

فتبسمت ، وقلت له ... إذن ، سأحضر !

ولم يعد في ذهني منذ هذه اللحظة أثر للشعر المرسل ، ولا للشعر الحر ، ولا لتلك الفروق الواسعة بين الشعر المرسل والشعر الحر ... بل نسيت موضوع الشعر كله ... بل نسيت زائري الأفاضل ، وإن كنت قد وضعت ذراعي في ذراع واحد منهم ، ثم توجهت معه إلى الرسالة ... سيراً على الأقدام ... !

وكان صديقي هذا هو السبب في إثارة موضوع الشعر المرسل ، فكان يحاول وصل الحوار في الطريق ، ولكن هيهات ... ! لقد كنت عنه وعن الشعر المرسل في شغل ... وكان أهم ما يشغلني هو الموضوع الذي تسهل الكتابة عنه في رمضان ، وفي مثل هذا الوقت من النهار ، وفي مثل حالتي من التعب وخمود الذهن وفتور الأعصاب ، ... ثم ... في ساعة ... ساعة واحدة ! وأين ؟ بعيداً عن الغرفة الهادئة التي تشرف على حدائق شبرا الغناء وحقولها الفيحاء ، والتي تعودت أن أكتب فيها في سهولة ويسر ، وفي غير مشقة أو عناء ...

وكنت كلما صرفت صديقي عن موضوع الشعر المرسل أبى إلا أن يعود إليه ... فقلت : إذن أشغله بما يشغلني ، وأشركه في البحث عن الموضوع الذي تسهل الكتابة فيه بالرغم مما يحدق به من تلك الظروف ... فقلت له :

إفرض يا صديقي العزيز أنك عدت تلميذاً في المدارس الثانوية ، لا طالباً في الجامعة . . . أو افرض أنك رأيت هذا فيما يرى النائم ، وأنك تجلس الآن — أي في المنام — في لجنة الامتحان لشهادة الثقافة مثلا ... مثلا ... وأنك تسلمت ورقة

نوجهه إلى المراقبين بوزارة المعارف وقد اكتوت أيديهم بالتعليم ، ولطف الله بهم فلم يرهقهم بالجدول الكامل إلى أن يشارفوا سنّ المعاش

إني أنظر إلى أولئك المراقبين بعين الاحترام ، لماضيهم الجميل في خدمة النهضة التعليمية ، ولكني أعجب من سكوتهم عن مشكلة لا يجوز عنها السكوت ، وهي اختلاف القدرة البشرية باختلاف الأسنان

ثم ما ذا ؟ هذا مدرس قاتل المتاعب حتى انتصر ، فبلغ الستين وهو بعافية ، فكيف يحال إلى المعاش ليعاني الفاقة في أعوامه الباقية ؟

أما بعد — وقد تعبت من أما بعد — فهذه ملاحظات أقدمها إلى معالي وزير المعارف ، راجياً أن تظفر من اهتمامه بما هي له أهل ، مع الاعتراف بأن مهنتنا قامت على أساس التضحية ، وأن حظنا هو أجل الحظوظ في أسوأ الفروض

وهل يشكو من يستطيع القول بأن له تلاميذ هم الدرة التالية في تاج الوجود ؟

زكي مبارك

أسئلة اللغة العربية ، فوجدت في رأسها في المكان المخصص لأسئلة الإنشاء هذا السؤال : إختر موضوعاً من عندك يتعلق بمشكلة اجتماعية من مشكلات هذا العصر واكتب فيه من ثلاثين إلى أربعين سطراً (بشرط ألا تتعرض للأحزاب المصرية بخير أو شر !) فماذا عسيت كنت تختار ؟

وافتر صديقي عن ابتسامة خبيثة طويلة عريضة وقال : كنت أكتب عن الشعر المرسل !

فقلت له : وهل للشعر المرسل علاقة بالمشكلات الاجتماعية الحاضرة ؟ أتريد أن تشق عليّ أو تشق صدري يا أخي ؟

فقال لي وهو ما يزال محتفظاً لفمه الهائل بابتسامته الصائمة الظامئة الجائعة : كلا ... ولكنه الموضوع الوحيد الذي أستطيع أن أكتب عنه بحرية مطلقة ، دون أن أتعرض للأحزاب المصرية بخير أو بشر !

وكنا قد بلغنا دار الرسالة فلم أرد عليه ؛ فلما صعدنا إلى الإدارة استأذنته في ساعة أغيب عنه طوالها بعد أن شغلته بكتاب رجوت أن يتلهى به عن الشعر المرسل ... ولم يفته أن يسألني فيم أصرف تلك الساعة من هذه الظهيرة القائظة ، فتبسمت ابتسامة أطول من ابتسامته وأعرض ، وأشد جوعا وظمأ ، ثم قلت له : حيث أجيب عن السؤال الأول من أسئلة الإنشاء في امتحان الثقافة يا صديقي ، وسأجتهد ألا أخرج عن الموضوع كما خرجت ... وسأجيب في اليقظة لا في المنام !

ولست أفهم هل فطن أخي هذا إلى ما عنيت ، ولكني فهمت من أخي محمد أنني سأجلس لكتابة المقال على مكتب الأستاذ رئيس التحرير !

عند ذلك تعاظمني الأمر جداً ، ونظرت إلى مكتب الأستاذ رئيس التحرير نظرة عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة ...

أجل يا صديقي القارىء ...

فلقد كنت تلميذاً للأستاذ الزيات منذ نحو من ربع قرن ! وكنت قبل أن ألقاه في المدرسة قد اتصلت به عن طريق كتبه قبل ذاك ... فلقد أعطاني ابن عم لي قصة « آلام ڤرتر » لأقرأها ... أو لأحفظها ... كما أعطاني صديق آخر كتاب « تاريخ الأدب العربي » ليكون لي نبراساً في مطالعاتي ... في دنيا هذا الأدب ... ومنذ ذلك العهد وصلتي بالزيات أقوى صلاتي بالناس جميعاً ، ولا أذكر أن الزيات كتب كلمة أو خط حرفا أو أصدر كتاباً لم أقتنه ولم أقرأه ولم أشتغل به

نظرت إلى مكتب رئيس التحرير إذن ، وقد تعاظمني أمر المقال المطلوب الذي لم أهتد إلى موضوعه بعد ، كما تعاظمني أن أجلس ، أنا التلميذ المتواضع المهذب المؤدب — ولا مؤاخذة ! — إلى ذاك المكتب العتيد ، مكتب الأستاذ العظيم المهذب المؤدّب ، ذلك المكتب الذي جعلت أحملق فيه مَشْبوها مشدوها ، وأنظر إليه تلك النظرة التي عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة

كان عليّ أن أفرغ من المقال — الذي لم أهتد إلى موضوعه بعد — في ساعة ، وقد كان أخي محمد يحسب أنه وقد غلّق عليّ أبواب الحجرة المقدسة ، سيتنزل على الوحي السريع المؤاتي فأدفع إليه بالمقال في نصف تلك الساعة أو في ربعها ، وعند ذلك يفرغ هو كما يفرغ عمال المطبعة الذين كانوا يترقبون إجازة العيد بالصبر الذي يصفه البلغاء بأنه صبر فارغ — دون أن أدري لماذا ؟

كان أخي محمد يُعنى نفسه بهذا كله ، وكان تليفون الرسالة الموجود إلى يسارى في الحجرة المقدسة يرن فيقدم السيد محمد مسرعاً ليتولى المكالمة ، وكنت أراه يمعّر نظراته فوق الصحيفة التي أعدت للمقال المنشود فيراها لا تزال بيضاء . بيضاء ناصعة . أو بيضاء خاوية ... وكنت أرى نظراته وقد ارتدت إليه حاسرة خاسرة فأرثي له ، ولا أرثي لنفسي ... ولماذا أرثي لنفسي ، وقد كنت أستمتع بلحظات سعيدة هُن من أعظم اللحظات في حياتي ؟ ألم أكن جالساً أضرب أخماساً لأسداس فوق مكتب أستاذي العظيم ؟ هذا المكتب الذي ربما كتب عليه الزيات فصولاً من كتابه الثمين في تاريخ الأدب العربي ، أو ترجم فوقه فصلاً أو فصلين أو فصولاً كثيرة من آلام ڤرتر أو من رفائيل ... أو دبّج عنده خمسين أو ستين من افتتاحياته العجيبة التي جمعها في وحي الرسالة ولم يهد إليّ منها نسخة مع ما كان يعرف من مرضي وانقطاعي عن الدنيا إذ ذاك ، ومع أنه أهدى منها إلى

جميع الناس ، بالرغم مما ذكر لى مرة أنه لا يهدى كتبه إلى أحد ... ذكرت ذلك كله واشتغلت به عن موضوع المقال ، وذكرت إلى ذلك كله عهود الصبا وشرخ الشباب ... أيام أن كان الزيات العظيم آنق معلم مُعْتَمٍّ فى مصر ، والشيخ الذى يفتخر الطلاب بالتأدب عليه والتتلمذ له

بيد أن بعض الحوادث سيطرت على كل تلك الذكريات واستبدت بها ، فقد كان الأستاذ يملى علينا يوماً تمريناً فى البلاغة وكان يملى من ذاكرته دائماً ... فلما أملى بيتىْ جرير المشهورين فى العيون[1] علق عليهما هذا التعليق التقليدى الذى تحشى به كتب الأدب ، من أنهما أحسن ما قيل فى العيون ... وهنا بدا على شىء من الضيق جعلنى أبتسم كالذى يستهزىء بهذا الكلام ، فلما سألنى الزيات ماذا يضحكنى أجبته بصراحة : هذا التعليق الذى تسمح به وبأمثاله كتب الأدب ، فسألنى : وله ؟ قلت لأننى أحفظ فى وصف العيون شعراً هو فى نظرى أروع من شعر جرير وأنا مع هذا لا أعده أروع ما قيل فى العيون ، ولا أروع ما ينتظر أن يقال فيها ، فسألنى أن أتلو شيئاً مما أحفظ ، فقلت :

مُكحَّلةٌ تظل حواليها نواظرنا ... صرعى من الوجد فوق الخدو الجيد

لمن إعجاز عيسى إن أردن بنا ... خبراً وفيهن أسرار المناقيد

وهنا سألنى ، أو أمرنى ، أن أكتبهما على السبورة ، فاعتذرت برداءة خطى الذى يلقى منه عمال مطبعة الرسالة الأمرّين ، فكتبهما الزيات العظيم بيده ، وكان خطه دقيقاً أنيقاً جيداً كعهده إلى اليوم ، ثم التفت إلىّ وسألنى عن اسم الشاعر صاحب البيتين ، فقلت هما لمسلم بن الوليد ... فقال ، لا ... إننى أحفظ ديوان مسلم ولا أعرف أنه قالهما ... فقلت : هما إذن للعباس بن الأحنف ... فقال : ولا للعباس يا خشبة ... فقلت : هما لى إذن وأنا ناظمهما ... وهنا ثارت فى الفصل عاصفة شديدة من الضحك ، وأصر إخوانى الطلبة على أن يسمعوا القصيدة كلها ، فأبيت ، واستنجدت بالزيات العظيم . فلما سألنى : وما ذا يمنعك ؟ أسررت إليه أن معظم القصيدة فى الأدب المكشوف الذى أستحيى أن أنشده ... فاستطاع حفظه الله أن يصرف شياطين طلبة (الأعدادية !) عنى

ولم تحصل طبعاً موازنة بين ما قلت وما قال جرير الخالد الذى لا يعقل أن يطاوله فتى فى السابعة عشرة من عمره

ومما كانت ذاكرتى تضطرب به اضطراباً شديداً هذا الحادث الذى وقع لى مرة مع أحد أساتذة اللغة العربية بالمدرسة ، فقد كان هذا الأستاذ يدرس لنا الأدب قبل أن يعوضنا الله منه بالأستاذ الزيات ، وقد كنت دائم الاختلاف معه خصوصاً فى كثير من تعبيراته العربية ، وقد ظن الأستاذ أننى أستخف بمحصوله العلمى فرفع الأمر إلى ناظر المدرسة الذى تعجل فانهرنى على صورة من الصور ... وقد لِنْتُ للناظر ولكن لا على حساب كرامتى ؛ ثم رجوته أن يُحكّم فى أوجه الخلاف الأستاذ الزيات ... وقد عرفت أنه أخذ باقتراحى ، لأن المدرسة عهدت بعد أسبوع أو نحوه بالفصول (الصغيرة) إلى الأستاذ ، وفوجئنا مفاجأة سارة بدخول الأستاذ الزيات ليدرس لنا مادة الأدب علاوة على المواد العربية الأخرى كلها

وكلفنا الزيات مرة بالكتابة عن المرأة المصرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ثم انتهت الحصة ولم أفرغ من الكتابة بعد وإن كنت قد كتبت اثنى عشرة صفحة . فلما كانت الحصة التالية تقدمت إلى أستاذى الجليل بكراستين كاملتين فى موضوع المرأة المصرية . ولما سألنى متى كتبت كل هذا (الهراء !) عبست العبوسة الهائلة التى كان لا بد لغرور التلميذ المراهق أن يعبسها ، ثم قلت : ليس ما كتبت هراء ، ولكنه ملخص دعوة قاسم بك أمين ، وما رد به المحافظون والرجعيون عليه ، وعلى رأسهم محمد طلعت حرب بك ... ثم بلى ذلك رأيى ، (أى والله قلت هذا بالفم المتلىء المتهدج !) بصفتى مصريا أولا وبصفتى مسلماً ثانياً ... وكنت أحبذ آراء المرحوم قاسم بك فى ذلك الحين إلى حد الجنون ، ولا أرى فيها ما ينافى الدين ولا الكرامة ولا الحشمة . ولكن الزيات تبسم فى هدوء وسكينة ثم قال : لا بأس ، لا بأس ! ولكن ابحث لك عن معلم غيرى يصحح لك كراستين كاملتين فى موضوع واحد . فقلت . . . وهى قولة تفيض كبراً ويكاد يخنقها الغرور : على كل حال لقد كتبت فى الموضوع الذى

---

(١) إن العيون التى فى طرفها حور ... قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

كافتنا به ، ولست أرى أن ما كتبت فى حاجة إلى تصحيح (١١)

والمدهش أن الزيات — بعد كل هذه الوقاحة — لم يزدد لى إلا محبة ، ولم يجزنى إلا بكل مودة ، ولم يقابلنى إلا بكل رعاية ... مع أننى انتهزت فرصة تفتيش محمد بك الخضرى على المدرسة بعد ذلك بأيام قلائل ، وقدمت له الكراستين مباهياً . . . فشجعنى الرجل عليه رحمة الله بكلمات ، ووعدنى بقراءة موضوعى الطويل ، وبرد الكراستين حين يفرغ منهما . وأكبر ظنى أنه لم يفتحهما خارج المدرسة ، لأننى قدتهما إلى الأبد . . . فيا ترى ! ماذا كنت قد كتبت فيهما ؟!

هذا بعض ما كان يهجس فى رُوحى من ذكريات أستاذى رئيس التحرير الذى كنت أجلس على مكتبه مشتغلاً بماضىّ معه ، عن الموضوع الذى يجب أن أفرغ من كتابته فى نصف ساعة ، وكان النصف الآخر قد مضى فى استعراض هذه الذكريات ...

ثم دخل أخى محمد فجأة لأمر ما من أمور الإدارة ، فلما رأى الصحيفة بيضاء هذه المرة أيضاً ، كآخر عهده بها ، اربدّ وجهه ، وشحب شحوباً شديداً . وكنت قد أخذت أحلم أحلاما أخرى من نوع آخر ، غير أحلامى بالذكريات السالفة ، فقد انتقل خيالى السابح إلى أدب الأستاذ الزيات شكلا وموضوعاً ، وجعلت أستعرض « قرتر » و « رفائيل » استعراضاً هادئا . فها هو ذا « قرتر » يقبض على مسدسه لينتحر . . . وها هو ذا الدم يتفجر من جبينه بعد أن دوّت تلك الرصاصة الطائشة . . . وها أنذا أبكى — يوم قرأت قرتر لأول مرة بالطبع — متأثراً أشد التأثر . . . ثم ها هى ذى چوليا ، حبيبة رفائيل ، تموت مما بها من مرض ، وها أنذا أتلو على رفاتها قصيدة لامرتين : البحيرة ، ثم قصيدته : الوحدة ، بقلم الأستاذ الزيات ... وبعد ذلك أتذكر وصف الفتى رفائيل ، ذلك الوصف الرائع فى العربية بقلم الزيات ، وفى الفرنسية بقلم لامرتين ، فأزداد انصرافاً عن الموضوع الضائع الذى لم أستطع أن أهتدى إليه بعد ...

ونظرت فرأيت أخى محمداً ما يزال واقفاً أمامى . فقلت له : ما هذه الضجة التى أسمعها فى الشارع ...؟

فقال : العمال ...

فقلت ، وقد خفت أن يكونوا عمال المطبعة : مالهم ؟

فقال : سيتناولون طعام الإفطار على مائدة مولانا !!

فقلت : حفظ الله مولانا ، ومسح الله دموع الفقراء ... عن إذنك يا أخى محمد ... خذ المقال بعد ربع ساعة !

ثم كتبت فى وسط السطر : يا دموع الفقراء !

* * *

وفرغت مما كتبت فى خمس عشرة دقيقة ، وخرجت فوجدت صديقى الشاعر ينتظرنى لنصل ما انقطع من حديثنا عن الشعر المرسل ، فأكلناه على أحسن وجه حتى وصلنا إلى ميدان الملكة فريدة ، ومشينا على الأقدام

دمنهور

جامعة فاروق الأول

(بالاسكندرية)

« إدارة السجلات والامتحانات »

تعلن أن شروط ومواعيد قبول الطلاب المستجدين للعام الدراسى القادم (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) فى كليات الحقوق — والآداب — والعلوم (وتشمل قسم الدراسة الإعدادية للطب) — والهندسة — والزراعة — والتجارة نشرت بالتفصيل فى عدد الوقائع المصرية رقم (٨٨) الصادر بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٤٣ فعلى راغبى اللحاق باحدى هذه الكليات استيفاء أوراقهم وتقديمها للكلية المختصة بالشروط الموضحة فى الاعلان الخاص بها ويرجع إليها فى كل ما يتعلق بذلك من الاستيضاحات

مع العلم بأن الدراسة ستبدأ فى كلية الهندسة يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ من يوم ٩ منه ١٢٧١